الإسلام ومحاربة الأوبئة

د. صالح العربي الحطاب
كلية التربية جادو
جامعة نالوت

الملخَّص:

تعيش البشرية في الآونة الأخيرة حالة من الخوف والهلع والقلق جرّاء ظاهرة غير مألوفة تتمثل في ظهور العديد من الأمراض المعدية التي تتخذ خاصية الانتشار بين الناس، وتوصف بالأوبئة في العديد من الدول والأمصار، ما اضطر منظمة الصحة العالمية والمرافق الصحية في كافة دول العالم إلى اتخاذ إجراءات احترازية معقّدة ومكلفة ماديًّا لمحاربتها.

ولم ننج نحن من ويلاتها، فأصابت رياحها المرضيّة العديد من أهلنا، وأسرنا كبقية سكان العالم، وبما أننا مسلمون ونتّبع ما في الشريعة الإسلامية الغرّاء من أوامر ونواه تتضمن أسلوبا ناجحا وفعالا لمواجهة أيّ خطر يهدد صحة المسلم وحياته،وهذا النظام يستمدّ أصوله من الكتاب والسُّنة، ويعتمد في الأساس على مبدأ الوقاية من الإصابة بالأمراض،والحفاظ على نعمة الصحة باتخاذ الخطوات العملية الآتية :

1- المداومة على النظافة والطهارة لكونها سلوكا وعادات يومية في حياة المسلمين.
2- عزل المرضى المصابين بأمراض لها القدرة على الانتقال بالاختلاط عن غيرهم.
3- الابتعاد عن الخبائث والمحرّمات مثل الزنا واللواط.

وقد بيّنت السُّنة النبوية الشريفة هذا المنهج ،وطبقته تطبيقا عمليا على كثير من الحوادث التي وقعت زمن التشريع الإسلامي على عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومن بعده عهد الخلافة الراشدة، ومن ذلك الزمن وحتى يومنا هذا لا يزال هذا النظام هو

الأنجح عمليا ضدّ أيّ جائحة، وإنّ كلّ أشكال التطور والتقدم العلمي الذي وصل إليه الطب الحديث لم تنجح كما نجح المنهج الإسلامي القائم على مبدأ **(الوقاية خير من العلاج)**

وقى الله الجميع من كل سوء

Abstract:

In the last decades spread many infections' disease all over the world and many humans died and all

Country spend too much money to treat that diseases and the Islamic system quit complete equalized

For all life condition and adopted effective programe to control the infectious disease depends on

The protection better than treatment.

Depends on two factors .

1-cleaning ,tahra,

2- Isolation of the patients away from healthy peoples

And later on at the time of that bases of Islam appeared many infectious disease and this Islamic role

Appeared to be effective and succeeded to control the diseases.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان على أحسن ما يكون صورة وهيأة وخلقاَ وصحةً، وأمدّه بالقوة والعقل.

والصلاة والسلام – على من جاء بالهدى ودين الحق – سيدنا محمد – طبيب الأبدان والأرواح – صلى الله عليه وسلم، وبعد :

فإنّ الدين الإسلامي تشريع تامّ مكتمل، أساسه الإيمان بالله وعبادته وحده دون سواه، يهدي به الله عباده الذين خلقهم لهذا الأمر، وأوجدهم على هذه البسيطة ،ويعلمهم بواسطة رسوله – عليهم الصلاة والسلام – أمور حياتهم بشموليته لكل الخلق، ولكل أمور الحياة، ومرافقها، فهو نظام سماوي من عند ربّ العالمين جميعا، لم يترك صغيرة ولا كبيرة مما يمسّ أمور الكون والحياة إلا وضع له ما يناسبه ويلائمه من ضبط وتنسيق وتنظيم.

والمجال الصحي من ضمن مجالات الحياة التي كان لها النصيب الأوفر في الكتاب والسُّنة، لا سيما فيما يتعلق بصحة الإنسان – يقول – تعالى – : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1].

فقد بيّن لنا المولى عزّ، وجلّ من خلال الشريعة الإسلامية الغرّاء أسلوب الحفاظ على نعمة الصحة للإنسان، وتحصين البدن من مخاطر الإصابة بالأمراض المختلفة ومنها الأوبئة، لكي يحيا بسلام عابدا الله تعالى مصلحا، متنعّما في ملكوته.

وبهذا سيكون البحث في اهتمام الدين الإسلامي بصحة الإنسان موسوما بـ :

(الإسلام ومحاربة الأوبئة)

أسباب اختيار الموضوع :

1- ما تعانيه البشرية اليوم في أنحاء الكرة الأرضية المختلفة من ويلات بسبب تفشي الأوبئة، وما نتج عن انتشارها من كثرة الإصابات بها، وكثرة الوفيات، والخسائر المادية، والبشرية،وحالة الخوف، والهلع بين الناس.

2- إظهار شمولية الدين الإسلامي لكل جوانب الحياة، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

3- التأكيد على أن الطهارة بكل اشكالها فرضت للعبادات، ولها مقاصد تربوية ذات علاقة بطهارة الروح، وللوقاية من الإصابة بالأمراض.

إشكالية الدراسة :

يعيش العالم اليوم حياة غير طبيعية كما اعتاد في السابق بسبب انتشار الأمراض المعدية بشكل غير معهود سابقا، ما فرض على كل الناس سلوكا وقيودا تحدّ من أنشطتهم، وتغيّر في أساليب معيشتهم بشكل مخالف لما سبق، فلم يعد الاختلاط والحضن والاقتراب مسموحا به، وفرض بدل ذلك التباعد بين الناس، وفرض وضع الكمامة على الوجه لتغطي الأنف والفم، ولم يعد التنفس من دونها مسموحا به، وأغلقت محالّ تجارية ومطاعم وأسواق للسيطرة على هذا الوباء، وأصاب الناس شعور بالخوف والهلع، وأصيبت أجهزة بعض الدول وأنظمتها واقتصادها بالتدهور والعجز،ما دفع الدول الكبرى إلى أن تكون في سباق مع الزمن في التصدّي لهذا الخطر، والقضاء عليه، أو محاولة الحدّ من انتشاره.

وبما أننا ندين بالدين الإسلامي – والحمد لله ـ الذي يتبنّى حماية حياة المسلم، ويحافظ من خلال تطبيقنا له على نعمة الصحة والعافية.

فلزم الأمر الوقوف بالدراسة والبحث على النظام الوقائي الذي تبنّته الشريعة الإسلامية الغرّاء، والأساليب النافعة في مكافحة الأمراض المعدية، لا سيما التي تكون على هيأة أوبئة.

وكيف كان التطبيق العملي لهذا النظام، من خلال السُّنة النبوية الشريفة زمن التشريع ؟

وللوقوف على معرفة نظام الوقاية من الإصابة بالأوبئة في الإسلام .

1- التعريف بالأوبئة : الوباء لغة واصطلاحا

أ- الوباء لغة :

الوبا، الوبأ، الوبآ : بالقصر، والهمز، والمدّ[2].

قيل هو كلّ مرض عام، وفي الحديث : (إنّ هذا الوباء رجز)، وجمع المقصور أوباء، وجمع المهموز أوبئة، وجمع الممدود أوبيه، وقد وبئت الأرض توبأ، وبأ، ووبوأت وباء ووباءه، وأرض وبيئة على فعيلة، ووبئة على فعلة، وموبوءة، وموبئة : كثيرة الوباء إذا كثر مرضها، واستوبئت البلد، والماء[3].

ب- الوباء اصطلاحا :

هو انتشار مفاجئ، وسريع لمرض في رقعة جغرافية ما فوق معدلاته المعتادة في المنطقة المعينة كالأوبئة التي عرفت في السابق مثل الطاعون، أو التي ظهرت حديثا مثل السارس، وانفلونزا الطيور، والكورونا[4].

وينتشر الوباء عن سبب محدّد لم يكن موجودا في المجتمع المصاب، وذلك مقابل المتوطّن [5]

ج- الطاعون لغة :

الطاعون من طعن[6]، الطعن القتل بالرمح، وطعن الرجل البعير فهو مطعون،الجمع منه طواعين، وهو داء معروف، طعين اصابه الطاعون.

د-الطاعون اصطلاحا :

الطاعون المرض العام، والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة، والأبدان وهو نوع من الوباء، وعند أهل الطبّ هو ورم رديء قتّال[7]، وفي الأثر عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال :

((فناء أُمّتي بالطعن والطاعون))[8] قالت عائشة – رضي الله عنها – الطعن قد عرفناه – فما الطاعون ؟

قال – صلى الله عليه وسلم : ((غدّة كغدّة البعير يخرج بين المراق والإبط))[9]

ولما كان الطاعون يكثر في الوباء وفي البلاد الموبوءة عبّر عنه بالوباء، كما قال الخليل : الوباء : الطاعون، وقيل هو كلّ مرض يعمّ، أي إنّ كلّ وباء طاعون[10].

2: الصحة والمرض

الصحة نعمة جليلة، أنعم الله – تعالى – بها على عباده ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [11] ولكن هذه النعمة ليست دائمة، فهي معرّضة للزوال بشكل نهائي أو مؤقت لفترة، وتعود بأمر الله سبحانه وتعالى يُلْبِسُها على من فقدها من عباده.

وسبب زوالها كليا أو جزئيا هو المرض الذي يتعرّض له كلّ الناس، وهو العلّة والسقم، وهو ضد نعمة الصحة، ويعدّ من سنن الله الجارية على كل خلقه لا يسلم منه أحد، ويعدّه بعضهم لعنة أو نقمة أو عقوبة من الخالق – سبحانه وتعالى–، ويعدّه بعضهم ابتلاء، ومكفراً للذنوب، يمحو به الله عزّ وجلّ من ذنوب عباده الصابرين، ويرفع به من درجات من يصاب به إذا صبر، وحمد[12] .

وعند التعرّض له والإصابة به، يكون المصاب في حالة من الضعف والوهن والعجز، ويشعر بقيمة النعمة الكبيرة التي فقدها، وفي هذا يقول المصطفى – عليه الصلاة والسلام : (من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا)[13]، أي أنّ نعمة الصحة من النعم الأهم للإنسان، وإذا توفّرت معها نعمتا الأمن والرزق، فإنّ الإنسان في رغد العيش وكأنه يملك كل شيء.

3: أسباب المرض

يعيش الإنسان منذ ولادته حتّى وفاته في حالة صحية تمر بثلاث مراحل، أو ثلاث حالات (حالة طبيعية، وحالة غير طبيعية، وحالة متوسطة بين الحالتين)[14]

1- الحالة الأولى الطبيعية :

وهي التي يكون فيها الإنسان سليما نفسيا وعقليا وبدنيًّا، لا يشكو من أيّة علّة، متنعّما بالصحة والعافية، وكذلك نفسيا لا يشوبه كدر ولا تشويش.

وهي الحالة التي يكون فيها الإنسان مفعما بالحيوية والنشاط، يعيش حياته طبيعيا، ويمارس نشاطاته، وأعماله بكل انسجام وارتياح ؛ لما يتمتع به من طاقة إيجابية، وراحة نفسية ووئام اجتماعي.

2- الحالة الثانية غير الطبيعية :

وهي التي يصاب خلالها الإنسان بإحدى الأمراض أو العلل النفسية أو البدنية التي تؤثر فيه سلبيا، وتجعل مزاجه سيّئا، وتحدّ من قدراته الذهنية والبدنية، وتجعله غير قادر على مزاولة بعض نشاطاته العملية أو الاجتماعية، فيكون غير فاعل في محيطه الاجتماعي وقد يلحق الضرر الناتج عن العلّة أو المرض بأحد أعضائه، ويصاب بالإعاقة العقلية أو البدنية.

3- الحالة الثالثة المشتركة :

وهي بين الحالتين الأولى والثانية، فلا ينتقل الإنسان من الوضع الطبيعي الذي يتمتع فيه بالعافية إلى الوضع الذي يكون فيه مريضا إلا بالمرور بهذه الحالة التي يحصل فيها السبب في التحوّل الطارئ عليه.

وقد قسّم العلماء الأمراض وصنّفوها حسب إصابتها إلى ما يلي :

أ- أمراض عضويّة تصيب أحد أعضاء البدن.

ب- أمراض نفسيّة تكون على هيأة اضطرابات سلوكية.

ت- أمراض سارية تنتقل من المريض إلى السليم، وتنتشر بين الناس بالاختلاط.

فكما تتنوع الأمراض فإن أسبابها متنوعة أيضا، ولكن ما يهمّ هنا من تقسيمات الأمراض وأسبابها، هي الأمراض السارية المتناقلة بين الناس، وهي ما تعرف بالأمراض المعدية أو الأوبئة.

والمتسبب في هذه العلل والآفات هو إمّا أن يكون ميكروبا، أو فيروسا، أو طفيلا، ينتقل من شخص مصاب إلى آخر سليم بعوامل عدة، أهمها أخطاء سلوكية يمارسها بعض الأشخاص، وعادات سيئة قد تكون من ضمن أعرافهم.

وبعض الممارسات التي تشكّل خطرا كبيرا على أي مجتمع وهي المعاصي، والفواحش كالزنى، والشذوذ الجنسي، وتعاطي المخدرات، فهي تسهم بشكل كبير في انتشار الأمراض والآفات.

4: مكافحة الأوبئة ومحاصرتها

أ- الوقاية وتفادي الإصابة بالمرض

اعتمدت الشريعة الإسلامية الغرّاء في مكافحتها للأوبئة على أسلوب الوقاية، وتفادي الإصابة بالأمراض المعدية، وعدم انتشارها بين المسلمين إذا وقعت خطوتين عمليتين لضمان سلامة الباقين، وهي كما يلي :

أولا ـ النظافة :

اعتماد أسلوب النظافة في كل الأوقات وكل ما يتعلق بحياة المسلمين وأمورهم من طعام وشراب وملبس ومسكن و إزالة الأوساخ والتلوث والتعفن ؛ لحمايتهم من العلل والأمراض على أن تكون النظافة شرطا لصحة بعض العبادات كالصلاة والطواف وقراءة القرآن، ويعبّر عنها بلفظ الطهارة،كما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((الطهور شطر الإيمان))[15]، وقوله – صلى الله عليه وسلم – :((لا تقبل صلاة بغير طهور))[16]، وتتم عملية الطهارة والنظافة بالاغتسال والوضوء المتجدّد لكلّ صلاة، ونظافة المكان والثياب، والتعبير عنها بلفظ الطهارة ؛ لأنّها تطهّر المسلم من الأدران وما يعلق به من كائنات حيّة لا ترى مثل الجراثيم والفيروسات وغيرها المسببة للأمراض، وكذلك الأوساخ والأقذار، وبذلك تدوم نعمة الصحة بهذا الأسلوب، وتعدم الإصابة بالأمراض[17] .

ثانيا ـ عزل المرضى عن الأصحّاء :

أمّا في حالة حدوث إصابة بين المسلمين بمرض معدٍ وبائي سواء كانت في إنسان أو حيوان، فإنّ الشريعة الإسلامية الغرّاء تفرض عزل المصاب عن الباقين، وعدم اختلاطه بهم سواء كانوا من البشر أو حتى باقي الحيوانات لوجود أمراض وبائية مشتركة بين

الإنسان والحيوان، كما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في قوله : ((لا يورد مُمرض على مُصحّ))[18]، ويبقى المريض معزولًا عن الأصحاء لتلقّي العلاج المناسب حتى يشفى حرصا على سلامة غيره من انتقال المرض إليهم بسبب قربهم منه ومشاركتهم له في استنشاق الهواء والطعام والشراب وحتى المكان، ويعبّر عن ذلك كله بالاختلاط المحظور.

5 : الطاعون

الطاعون ـ كما سبق ذكره ـ هو نوع من الوباء فتّاك ينزل بالبلاد[19]، وصفه المصطفى– صلى الله عليه وسلم – بالرجس في قوله : (إنّ هذا الطاعون رجس أُرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)[20]، ونهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن دخول المدن، أو البلدان التي يظهر فيها، أو الخروج منها تفاديا لانتشاره، على أن يبقى الوباء حبيس البلدة التي وقع بها لمكافحته وحصاره ومعالجة المصابين به ؛ حفاظا على سلامة الباقين منه.

وقد يعدّ الطاعون في رأي البعض هو كل الأمراض المعدية، أو الأوبئة وليس واحدا منها كما صح عنه – عليه الصلاة والسلام – في قوله في فضائل المدينة المنورة (لا يدخل المدينة المسيح ولا الطاعون)[21]، وفي رواية أخرى قوله – عليه الصلاة والسلام – :(على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، و لا الدجّال)[22]

والحديثان الشريفان رواهما الصحابي أبو هريرة – رضي الله عنه – ولفظ الطاعون في الروايتين يفهم منه أنه إشارة إلى كل مرض معدٍ يظهر على هيأة وباء[23]، ولا يعقل أن يكون التحذير من نوع واحد من أنواع الأوبئة فحسب، وكذلك ما حصل للفاروق – رضي الله عنه – عندما أراد الذهاب إلى الشام وكان قد ظهر بها الوباء، فعن عبد الله بن عبّاس – رضي الله عنه – قال : (إنّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – خرج إلى الشأم حتى إذا كان يسرع لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجرّاح وأصحابه فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بأرض الشأم قال ابن عبّاس : فقال عمر ادع لي المهاجرين الأوّلين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أنّ الوباء قد وقع بالشأم فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله – صلى الله عليه و سلم

– ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجرّاح أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيّبا في بعض حاجته فقال: إنّ عندي في هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه). قال فحمد الله عمر ثم انصرف[24].

ويتبيّن لنا مما ورد سابقا أنّ الشرع يأمرنا بأخذ الاحتياطات اللازمة لتفادي الإصابة بالأمراض لاسيما المعدية منها، وعدم الاختلاط في حالة وقوعها وظهورها في مكان ما.

6 : الجذام والرمد

أ – الجذام :

الجذام علّة رديئة تحدث من انتشار المرة السوداء في البدن فتفسد الأعضاء، وهيأتها، وشكلها، وتتآكل[25].

وفي الطب الحديث عرّف بأنه : مرض مزمن معد يصيب الجلد والأعضاء الطرفية والأغشية المخاطية للجهاز التنفسي العلوي، وينتقل عن طريق الملامسة، والمعاشرة لفترات طويلة[26].

من خلال التعريفين السابقين يتضح أنه مرض معد، وقد ينتقل من شخص إلى آخر عن طريق الاختلاط المباشر، لذلك أولت الشريعة الإسلامية اهتماما خاصا به، حيث نبّه النبي – عليه الصلاة والسلام – أتباعه على الوقاية من الإصابة به بعدم الاقتراب أو الاختلاط بالمصاب به لئلا ينتشر بينهم كما ثبت عنه في السُّنة النبوية الشريفة فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : (فر من المجذوم

فرارك من الأسد)[27]، وفي نص آخر (كلّم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح)[28]، ويفهم من ذلك عدم الاقتراب، والاختلاط بالشخص المصاب، وعن عمرو عن أبيه قال : كان في وفد ثقيف إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – لمبايعته والدخول في الإسلام،رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي – صلى الله عليه وسلم – (ارجع قد بايعناك)[29]، حيث أمره بالرجوع قبل دخول المدينة لئلا ينقل المرض لغيره بالعدوى، وكانت الأوبئة في حينها تفتك بالمسلمين، ولم يكن العلاج متوفرا، ومتقدما كما في زمننا هذا.

ب – الرمد :

الرمد ورم حار يصيب الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها الظاهر، وسببه عدوى ناتجة عن معاشرة إنسان مصاب، من ريح حارة ملوثة[30] .

وهو من الأمراض المعدية التي تنتشر بين الناس بالمخالطة، والاقتراب من المريض، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ[31]، وكان – عليه الصلاة والسلام– يوصي من رمدت عينه بالسكون، وقلّة الحركة والظهور، والتنقل، أي العزل والسكون.

7 : الأوبئة في العصر الحديث

أ – الوضع الوبائي الحالي

يتسم الواقع الحالي الذي نعيشه في زمننا هذا بكثرة الأمراض المعدية، وتنوعها، وتطورها بشكل غير مسبوق ؛نظرا لكثرة السكان، وأسلوب المعيشة، والاختلاط، وانفتاح العالم على بعضه، وسهولة التنقل، والتواصل باستخدام وسائل مواصلات حديثة وسريعة ومتعددة، وقطع مسافات طويلة في وقت قصير، أي أن اختلاط الناس ببعضهم ومن مناطق بعيدة ومختلفة، وارتباط العالم من أقصى أطرافه إلى اقصى أطرافه الأخرى، وتبادل المنافع التجارية، والصناعية.

هذا الاختلاط السهل والاندماج بين أعداد كبيرة من البشر يسهّل انتقال الأمراض المعدية بينهم، وانتشارها بين المناطق والأمصار بسرعة.

ولكن الملاحظ أنّ هناك أمراضًا معدية محلية مرتبطة بواقع جغرافي ومناخي معيّن، أي تنتقل بين سكان إقليم محدد، أو بقعة جغرافية معينة تتوفر فيها ظروف معينة

تناسب تلك الأمراض، أو مسبباتها مثل الليشمانيا التي تنقلها ذبابة الرمل التي تعيش في بيئة خاصة، وكذلك مرض الكوليرا، والملاريا التي تنقلها بعوض الأنوفيلس، وهي أيضاً تعيش في بيئة خاصة تتوفر فيها الحرارة والرطوبة مثل بعض المناطق في قارة أفريقيا لا سيما دول حوض النيل التي تكثر فيها أمراض طفيلية معدية مثل البلهارسيا، وعادة ما تكون هذه الأمراض لها علاقة بسلوك ساكني تلك المناطق التي تظهر فيها ترتبط بعاداتهم وطبيعة إقليمهم وأغذيتهم وأنشطتهم.

ومازالت تلك الأمراض تظهر وتصيب العديد من البشر، وتنتشر بينهم بالعدوى.

وهناك أمراض معدية غير مرتبطة بإقليم جغرافي محدد، أو سلوك اجتماعي خاص ببعض المجتمعات، ولكن تمّت محاصرتها في الأماكن التي ظهرت فيها، ونجحت وسائل المكافحة، والعلاج في القضاء عليها قبل أن تنتقل، وتنتشر في أماكن أخرى مثل إيبولا، والسارس، ولكنها حصدت أرواح عديدة، ومات بسببها الكثير من السكان المحليين، وبعزل تلك المناطق التي ظهرت فيها تلك الأمراض ظلت حبيسة بها ولم تنتقل خارجها، ونجحت الهيآت والمؤسسات الصحية في الحد من انتشارها فسهّلت القضاء عليها.

لكن هناك أمراض معدية أخرى لم تنجح الهيئات الطبية وغيرها ذات العلاقة في محاصرتها، ومنع انتقالها، وانتشارها في أماكن أخرى أ فأصابت وفتكت بالعديد من البشر مثل انفلونزا الطيور، والخنازير.

وما عشناه في السنوات الأخيرة يعد وضعاً صحياً كارثياً نتيجة لظهور وباء كورونا، وانتشاره بشكل سريع في كل أنحاء العالم، فأصاب الملايين، وبلغت نسبة الوفيات معدلات خطيرة لدرجة أنه وصف بالجائحة لعموم انتشاره السريع، وقتله العديد من بني البشر.

8 : وباء كورونا (كوفيد 19)

مرض كوفيد يسببه فيروس كورونا (التاجي)[32]، وهو من مجموعة الفيروسات التي يمكنها أن تسبب أمراضا مثل الزكام، والتهاب الجهاز التنفسي،ومن أعراضه الحمى، والسعال، والشعور بالتعب، وهو سريع الانتشار، وقد ظهر أوّل مرّة في دولة الصين شهر 2 / 2019 م، فأصاب العديد من الصينيين بالعدوى عن طريق الاختلاط، والرذاذ، والملامسة للأسطح الملوثة، والازدحام ما اضطر السلطات الصينية إلى التعاون مع الهيئات

الصحية لإعلان الطوارئ لمواجهة الخطر المستفحل بسبب فيروس قتل الكثير من السكان وذلك لمحاولة محاصرته والقضاء عليه.

لكن الإجراءات والتدابير التي اتخذت حياله لم تكن كافية في مواجهة فيروس نشط وشرس، فسرعان ما أخذ في الانتشار، والعدوى به تصيب كل من خالط مصابا أو حاملا للفيروس حتى وإن لم تظهر عليه أعراض المرض.

ومع حركة التنقل من وإلى الصين بواسطة الطائرات ووسائل النقل الأخرى انتقل الفيروس مع المسافرين إلى دول أُخَر، وأصبحت تظهر أعراضه في أماكن متفرقه من العالم بسرعة جعلت الخدمات الطبية تواجه صعوبة فيما تقدمه للمصابين مع كثرة الحالات، وخرج الفيروس بانتشاره السريع عن السيطرة، ومحاولات حصاره في بؤر محدودة ما اضطر الهيئات الصحية في كل دول العالم ومنظمة الصحة العالمية إلى ان تتواصل وتتدارس الموقف الوبائي المحرج، وصدرت حياله رزمة من الإجراءات والتدابير الوقائية، للحدّ من انتشاره وتقليل الإصابات به، والتعاون بين المراكز البحثية للوصول إلى العلاج المناسب لهذا المرض، الذي أطلقت عليه منظمة الصحة العالمية وصف (جائحة كورونا)[33]

وقد لجأت بعض الدول الكبرى إلى اتخاذ بعض الإجراءات الاحترازية بالاتفاق مع بعضها كمحاولة لإيقاف انتشار المرض، وظهور إصابات جديدة، ومنها مثلا :

1- إيقاف جميع الرحلات البرية والجوية والبحرية إلى الدول الأكثر انتشارا للمرض، والتي تصنف من قبل منظمة الصحة العالمية بالدول الموبوءة.
2- إغلاق المصانع والشركات ودور السنيما والمطاعم والمقاهي تفاديا للازدحام
3- منع التجمعات والأنشطة الرياضية بكافة أنواعها.
4- إيقاف موسم الحج والعمرة وزيارة البقاع المقدسة وتعطيل ركن من أركان الإسلام الخمسة.
5- البدء في الأبحاث العلمية والتجارب على الفيروس المسبب للمرض للوصل إلى إنتاج طعوم وامصال مضادّة له.

9 : وباء كورونا في ليبيا

لم تكن بلادنا استثناء من بين بلدان العالم في ظهور إصابات بفيروس كوفيد، ولكن ما يميز الحالة الوبائية بها هو أنه رغم هشاشة البنية التحتية فيما يخصّ الخدمات

الطبية، وافتقار المرافق الصحية للتجهيزات اللازمة لمواجهة هذا الوباء، وضعف الإجراءات الاحترازية لا سيما الأمنية منها في منافذ الدولة البرية والبحرية والجوية إلا أن الإصابات ظلت محدودة جدا خلال سنة 2019م ولم يبدأ الفيروس في الانتشار بشكل كبير إلا في سنة 2020 م عندما تطور الوضع الوبائي العالمي ليصبح جائحة ما اضطر وزارة الصحة المتمثلة في المركز الوطني لمكافحة الأمراض المعدية بالتعاون مع قطاعات الدولة الأخرى كلا فيما يخصه لاتخاذ جملة من التدابير العملية الوقائية ومنها :

1- حظر التجمعات بكل صورها وأشكالها.
2- إغلاق كافة المنافذ وعدم السماح بالدخول أو الخروج إلا للضرورة القصوى
3- فرض حظر التجوال في فترات زمنية محددة.
4- فرض لبس الكمامة واستعمال المعقمات وفرض التباعد البدني.
5- إيقاف الدراسة في كل مراحلها.
6- غلق المساجد والزوايا والخلوات.
7- إيقاف الحج والعمرة.
8- تسخير الإمكانيات اللازمة لمراكز العلاج والعزل.
9- تسخير وسائل الإعلام المختلفة لتوعية الناس بمخاطر الوباء وكيفية التعامل معه في حال حصول العدوى.
10- المباشرة في حملات التلقيح بالطعوم الخاصة بالوباء.
11- تبادل المعلومات مع كافة الدول والهيئات ذات العلاقة وخاصة منظمة الصحة العالمية.

وقد حققت هذه الإجراءات والخطوات العملية نتائج جيدة جدا مقارنة بالواقع، والظروف التي تمر بها بلادنا، فتقلصت بحمد الله وتوفيقه المؤشرات الخطيرة والسلبية لهذا الوباء، انخفاض عدد الإصابات الجديدة، وانخفاض نسبة الوفيات الناتجة عنه وازدياد نسبة التعافي، والشفاء بفضل الله تعالى له الحمد والمنّة.

الخاتمة

بعد دراسة منظومة التشريع الإسلامي الحنيف فيما يتعلق بصحة الإنسان وكيفية المحافظة عليها، وبشكل خاص تفادي الإصابة بالأمراض المعدية والمتناقلة، وبعد عرضها في المباحث الثلاثة يخلص البحث إلى النتائج الآتية :

1- إنّ نعمة الصحة التي أنعم الله تعالى بها على عباده ليست دائمة، وإنما معرضة للزوال الدائم أو المؤقت بسبب المرض.
2- إنّ الأمراض، والعلل تصيب كل البشر بجميع أجناسهم، وفئاتهم، ولا يسلم منها أحد مهما كان وضعه أو مستواه المعيشي.
3- إنّ بعض تلك الأمراض معد له خاصية العدوى ينتشر بين الناس عن طريق الاختلاط، والمعاشرة عن قريب ويطلق عليها الأمراض المعدية، وإذا انتقلت من المكان الذي ظهرت فيه إلى أماكن أخرى تصبح أوبئة.
4- عرف الإنسان الأوبئة منذ القدم حتى قبل الإسلام فهي ليست وليدة العصر الحديث ولا يخلو منها زمن أو مجتمع.
5- أولت الشريعة الإسلامية الغرّاء اهتماما كبيرا بكافة أمور المسلم، لا سيما حالته الصحية وكيفية المحافظة عليها، وظهر ذلك جليا في الجانب الوقائي اكثر من العلاجي، فوجهت المسلم إلى خطوات عملية تجنبه الإصابة بالعلل، والأمراض وخاصة المتناقلة منها.
6- أقرت الشريعة الإسلامية مبدأ النظافة كأسلوب وقائي، وكذلك الحجر الصحي بتطبيق العزل، وعدم دخول الأماكن الموبوءة أو مغادرتها.

التوصيات :

بناءَ على ما ورد في النتائج السابقة فإنّ البحث يوصي باتخاذ الخطوات الآتية

1- اتخاذ ما تضمنته الشريعة الإسلامية الغرّاء من خطوات وتدابير وقائية كقاعدة تبنى عليها البرامج الوقائية، والخطط العلمية في المؤسسات الصحية
2- ضرورة إنشاء مراكز لعزل المرضى المصابين بالأمراض المعدية وتزويدها بالمعدات والمستلزمات الضرورية اللازمة.
3- نشر ثقافة الوقاية من الأمراض في المجتمعات بشكل عام، باتباع الإرشادات المتعلقة بذلك بالمداومة على النظافة، وعدم الاختلاط بالمصابين، وغير ذلك من طرائق المحافظة على الصحة.
4- اتخاذ الإجراءات المناسبة في المنافذ، ومراقبة الدخول والخروج للمسافرين من خلال المكاتب الصحية بمنافذ كل دولة.

اتمنـى السـلامة، ودوام العافيـة للجميـع، وأن يعـمّ الرخـاء، وأن تنتهـي أزمـة وبـاء كورونا من بلادنا ومن العالم أجمع.

الحمد لله رب العالمين

(1) سورة النحل 78
(2) لسان العرب لابن منظور مادة (واو) ج1 /ص 189
(3) لسان العرب
(4) الموسوعة الطبية الفقهية حرف الواو احمد محمد، محمد هيثم دار النفائس بيروت
(5) الموسوعة الطبية الفقهية
(6) لسان العرب لابن منظور جذر طعن ج13 / 266
(7) الطب النبوي لابن القيم ص33
(8) مسند احمد بن حنبل 19743- ج 32 / 520
(9) مسند أأحمد
(10) الطب النبوي لابن القيم
(11) سورة النحل 78
(12) الموسوعة الطبية الفقهية ص 206
(13) سنن الترمذي 2268، ابن ماجة 4131
(14) الطب النبوي لابن القيم ص9
(15) سنن البيهقي
(16) سنن الترمذي كتاب الوضوء
(17) الطب الوقائي في الإسلام ص5
(18) صحيح البخاري
(19) الطب النبوي لابن القيم 1 / 51
(20) صحيح مسلم 59031
(21) صحيح البخاري 5399
(22) صحيح مسلم 3416
(23) تعليق القاضي عياض على لفظ الطاعون في الموطأ 3 / 460
(24) صحيح البخاري 5397
(25) الطب النبوي لابن القيم

(26) العدوى بين الطب النبوي و الطب الحديث ص4
(27) مصنف أبي شيبة 24543
(28) كنز العمال للمتقي الهندي 28329
(29) سنن ابن ماجه 3544
(30) الطب النبوي لابن القيم ص106
(31) الطب النبوي لابن القيم ا
(32) منشورات منظمة الصحة العالمية
(33) منشورات منظمة الصحة العالمية 2020

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1- تفسير القرآن العظيم – الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير– دار الأندلس بيروت لبنان.
2- المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم – محمد نايف معروف – ط2 – 1427هـ / 2006م – دار النفائس للنشر والتوزيع – بيروت لبنان.
3- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم – صبحي عبد الرؤوف، أحمد مصطفى – ط1 – دار الفضيلة القاهرة.
4- الموطأ للإمام مالك بن أنس – محمود بن الجميل، طه عبد الرؤوف – ط1 – 1422 هـ / 2001 م – مكتبة الصفاء القاهرة.
5- مختصر صحيح مسلم – زكي الدين عبد العظيم المنذري – ط1 – 1427 هـ / 2006 م – مكتبة الإيمان – المنصورة مصر.
6- صحيح البخاري – لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري – عز الدين، عماد الطيار – ط حديثة – 1433هـ / 2012 م – مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان.
7- سيرة خاتم النبيين – محمد أبو زهرة – مكتبة جدة السعودية
8- الطب النبوي لابن القيم
9- موقع وزارة الصحة ليبيا.
10- موقع المركز الوطني لمكافحة الأمراض المعدية
11- موقع منظمة الصحة العالمية.